هذه سيارتنا

حينما قرأ السيد المدير العام لهيئة الإذاعة والتلفزيون هذه القصيدة كان آخر العهد بهذه السيارة التي ابتلينا بها زمناً غير يسير كانت تنقلنا يومياً من دمشق إلى محطة الإرسال في قاسيون وكان الطريق إليها أخطر ما يكون.

.. وركبنا. قدمٌ منّا بها ... ولبعْدِ الأمْنِ عنها قَدَمُ
ودّعتْ أرواحُنا أجسادَنا ... ومضت... أين مضت؟ لا نعلمُ
كل ما نعلمه أن بها ... حشرَنا... فهو قضاءٌ مبرمُ
منذ عامين وهذي حالنا ... كلَّ يوم بهواها... نرغمُ
فإذا أبصرتنا في جوفها ... تارةً تبكي.. وأخرى تبسمُ
جثثٌ مهملةٌ ليست تعي ... طار منها الحس.. أو جفّ الدمُ
كلُّنا نختار ـ لوهم خيّروا ـ ... «طنبراً» تسعى عليه «البُهُمُ»
لو رأى صانعُها حالتها ... شك فيها وأتى يَتَّهِمُ!
الليالي أكلت هيكلَها ... فبراه... وعفاه القِدمُ
لا يصدُّ الريحَ، لا يمنعها ... كلُّنا من وخزه مستسلمُ
إن عوت ريحٌ مددنا ثوبَنا ... نتقي الريحَ التي لا ترحمُ
كلُّ شيءٍ صار فيها هرماً ... أترى عاد فتياً هرمُ؟!
فهي ليست آلةً.. إنما ... نصفها غولٌ، ونصفٌ عدمُ
وإذا ما «زعقت» هادرة ... نفخ الصُورُ ونحن الرِمَمُ

أخـــذت حريّـــةً كاملـــةً ... وغـــدت آمـــرةً تحـــترمُ
تعجـز الألبـابُ عـن إقناعهـا ... تـارة تمشـي، وأخـرى تحجـمُ
فتراهـــا ســـاعة طـــائرةً ... وإذا مـــا حَرَنْـــت لا تُقـــدِمُ
مفرشـي فيهـا ذنـابى عقـربٍ ... مسـندي!! والتـف حولـي أرقـمُ
خلـت جنيـاً بهـا إن هرعـت ... مـن بنـي الأنـس أتـى ينتقـمُ
وإذا مـــا شـــخرَت، أو نخـــرتْ ... كُـــرهَ الســـمعُ، ولـــذّ الصّمـــمُ

❖❖❖

ولهـا فضـلٌ علينـا ظـاهرٌ ... دون ذاك الفضـل عنـدي النّعِـمُ
إن عزرائيـل فيهـا جارُنـا ... دائمـاً عـن حالنـا يسـتفهمُ
سـاكن مـا بيننـا منتظـرٌ ... جفنُـه للنـوم لا يستسـلمُ
خفيـت إلاّ عليـه حالُنـا ... فهـو دون النـاس فينـا أعلـمُ
يرقـب اللحظـة كـي يرقـى بنـا ... فعسـانا بعدهـا لا نُظلَـمُ

❖❖❖

هكـذا يـا قـوم سـيارتُنا ... وسـوانا بسـواها ينعُـمُ
كـم شـكونا وأطلنـا المشـتكى ... علنـا ممـا نلاقـي نُرحـمُ!!
ليـت مـن أرْضتهمـو حالتنـا ... دون علـم.. ليتهـم قـد علمـوا
أننـا كـالعيس نحيـا أبـداً ... نحمـل المـاء، ومنـه نحـرمُ

صيف ١٩٧٠